جهلناه. ومن حقّنا أن نتطلّع إلى اليوم الذي يصبح فيه القدر معاوناً لنا بدلاً من أن نكون معاونيه، بل خادمنا بدلاً أن نكون خدامه.

حيثُ الفكر والخيال والإرادة هنالك المقدرة على الخَلق. وما الفكر والخيال والإرادة غير سلاح الحياة المنغلقة في كفاحها ضدّ الانغلاق وفي اندفاعها نحو الانطلاق. وهذا الكفاح هو السبب الأوّليّ لكلّ ما نحسّه من تجدّد في الكون، ومن تغيّر مستمرّ في حياة البشريّة التي ليست سوى جانب محدود من الكون الذي لا يُحَدّ. والبشريّة لن تعرف الاستقرار الكامل حتى تعرف الحرية الكاملة، وحتى تنطلق من كلّ حدّ وقيد.

نحن سائرون إلى الحرية. ما في ذلك شكّ. ولكننا نسير بخطى وئيدة إلى حدّ أن من يرقب حركاتنا عن كثب يكاد يحسبنا ندور على أنفسنا، ويكاد يجزم أنّنا ما نبرح مكاننا. ولا عجب، فسرعة القافلة تقاس بسرعة أبطأ بعير فيها، وقوّة السلسلة تقاس بقوّة أضعف حلقة من حلقاتها. كذلك سرعة البشريّة وقوّتها. وأبطأ الناس وأضعفهم ما يزال أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان. فكيف نرجو للبشرية تقدّماً خاطفاً ونموّاً باهراً؟ بل العجب العجاب أن تنجب البشرية أفراداً استطاعوا الانفلات من قيودها وراحوا يدلّونها على